المملكة الممنوعة

- ١ -

بيني وبين الجدار
أبخرة الزنزانة
وفي فروع النهار
تفاحة عريانة
وفي طريق الفرار
رصاصة أو خيانة ..

- ٢ -

أغني بليل الهزيمة
وأبكي أحتراقي وجوعي بقلب الوليمة
واسمع رعبي وقلبي الذي يتمزق من شهوة للفرار
وأنظر ضوء النهار
يمد أصابعه الباردة
ويهدم وجهي ومملكة الليل في ضربة واحدة
يبعثر ما جمعته يدي من حصاد الرؤى
(صيحة الديك عرش ومملكة وانتظار
وصوت يبشرنا بالقيامة
وجثتنا في التوابيت والارض نعش ودفتر اعمالنا
تنقلب فيه الدما والجريمة
وأصواتنا رعشة الاحتضار .)
ويكتم في شفتي صرختي .. آه ياصرختي .. ما تزالين
يأسي وارضي القديمة
ومملكتي المستباحة ..

- ٣ -

أسمع صوت الماشية على الطرقات
أسمع ما يتهانف في الضحكات
وأنا اعراق مرخية
أنفاس واقفة مطوية
جمجمة فارغة ولسان مبتور
ودماء تقطر من خف الديجور
أتذكر ما قلناه معا
أتذكر طعم الكذب الابيض والاحلام السوداء
أتذكر ايقاع الموال المقهور
والعش الفارغ والرمح المكسور
أتذكر شبحي الهارب حين تكسر منه الرأس
على قرميد السور .

حين يجيء الموت
هل يأخذني أم يشطرني نصفين
فأنا اسمع صوتي الضائع في الطرقات
وأرى الشمس المسوده
تتدحرج في ايدي الايام المرتده
وامد يدي الى أهلي الاموات
نقتسم الدمعة والطعنات
فمتى يرحمني كفن الصمت
يتركني تحت الارض ويقطع كفي الممدودة
فيعشش في جمجمتي بعد زمني واحد !!

— ٤ —

كنت اذا رأيت ندبة على جسد
أو أثرا ملتئما لجرح
تفجرت مشاركات الرعشة الاليمة
ـ في جسدي ـ للدمعة القديمه
والصرخة البائسة المقيمه
لكنني ـ في زمن السخرة والحرائق ـ
قبلت جيفة الارض . . فمات في حنجرتي
الرفض والسؤال
وانفصلت عرى التداخل الحميم بين الفعل والارادة.

— ٥ —

أتيت تحت الزمن المنافق
والسينما في منطقتي ، والشمس في نعش من البارق
غسلت رجلي في دم الصبايا
وجئت من معركتي الخاسرة الخفية
أحلم بالقناع والتقيه
أنام في أروقة التكايا
تطعمني جريمتي ،
يقيمني الرب على الحشية
ممتلئا بما ادعيته من طيب النوايا
وخائفا أن تولد الشمس وتملأ النوافذ
فتكشف النعش الذي تحمله خطايا . .

— ٦ —

طيبة أنت كخبز الام وماء الساقية الخشبية والعنقود
أتحسس وجهك في صوتي الممدود
وأشم جدائلك المنسوجة عشا للنهدين
فامرغ وجهي، اصرخ كي ينقذني جرس القافية الصعبه.
حاصرني الصوت الصاعد من ليل الاركان
طيبة أنت . . ولكن الانسان
لا يحلو الا ساعة غيبة في الارض
أو ساعة أن يفجعنا ـ بعد ترقبنا ـ بالرفض .
جسدك اليأس الطالع في الاشجار
تفاحة نار
جسدك الحب الخائب والابناء الموتى والانهار
جزرا غارقة ، وجها يصرخ في عينيه العار
فجريت وراءك . . أعرف اني لن أتعرف في عينيك على منزلنا العامر بالاسرار
غنيتك . . أعرف ان الصمت
فرس تحمل هودجك المنهار
ورأيتك . . أعرف ان الشمس
كانت تثقب عيني في الزنزانة
والصوت الصاعد من أحذية الحراس
كان غناء العرس .
وسمعتك . . أعرف أن الموت الطائر فوق الرأس
كان صديقا يحجب عني القمر الميت في شفتيك . .

— ٧ —

حين تخلعت مفاصلي
وانسكبت عروقها المهترئة
ولفها الضماد بالنمل وبالثلوج
تكسرت في رئتي زجاجة المروج
وانسكبت خضرتها المملحة
فأنبتت حنجرتي المقهورة
مرثية للدمن المهجورة
والزمن المصلوب في زاوية البيت ،
وأنبتت أغنية مخبولة
ضاحكة . . تطلع في الجدران
تشقق أو وتدا أو سقطة او قلما يكتب بالدخان
أسماءنا المنطفئة .
حين أدرت الرأس للحائط وارتمت بجانبي أصابعي المقطوعة
رقدت خلف سور المملكة
أصرخ في الاحلام : ياجثتي المرفوعة
مائدة للريح والجوارح
لا تسقطي . . فالارض ما تزال
مملكة ممنوعة (*)

محمد عفيفي مطر

(*) فقرات من «كتاب السجن والمواريث»